

حق الطفل الأصم في النمو بثنائية اللغة

The Arabic translation of
“The right of the deaf child to grow up bilingual”

by François Grosjean
University of Neuchâtel, Switzerland

Translated by
Ahmed Jadir
&
Abdelali Bentahila

This translation was made possible by a collaborative project between the University of Neuchâtel, Switzerland (Language and Speech Laboratory) and Gallaudet University (Signs of Literacy Program) and was funded by The Parthenon Trust and the Elysium Foundation.

حق الطفل الأصم في النمو بثنائية اللغة

فرانسو كروسجون
مختبر معالجة اللغة و الكلام
جامعة نوشاتيل
سويسرا

مهما بلغت نسبة الخسارة السمعية التي يفقدها الطفل الأصم، فله الحق في النمو بثنائية لغوية. وكما سبقت الإشارة إلى ذلك في جملة من البحوث لسنوات عديدة، فلبي يتمكن الطفل من إدراك كل قدراته المعرفية و اللغوية و الاجتماعية، فهو يحتاج في كثير من الأحيان إلى استعمال و معرفة لغتين اثنتين : لغة الإشارة و اللغة الشفهية (في شكلها الكتابي وإن أمكن في شكلها أو نظامها المنطوق).

ما يمكن للطفل الأصم إنجازه باللغة

من خلال اللغة يمكن للطفل الأصم و على غرار الطفل السامع إنجاز مجموعة من المهام:

1- التواصل في أسرع وقت ممكن مع أبويه ومع أسرته
يبدأ الطفل السامع منذ نعومة أظفاره في إكتساب اللغة شريطة أن يعرض عليها وأن يكون مؤهلاً لإدراكها. فبفضل هذه اللغة المبكرة يتم ربط علاقات شخصية و عاطفية بين الطفل وأبويه. فما ينطبق على الطفل السامع يجب أن ينطبق كذلك على الطفل الأصم حيث يجب أن يتمكن من التواصل كلياً مع والديه عن طريق لغة طبيعية و ينبغي أن يبدأ هذا التفاعل في أسرع وقت ممكن حتى تنشأ روابط عاطفية و اجتماعية بين الطفل ووالديه.

2- التطور معرفياً منذ سن مبكر
تساهم اللغة في تطوير القدرات المعرفية الضرورية لنمو الطفل كالتفكير و التجريد و الاستدكار... فالانعدام الكلي للغة أو وجود لغة غير مدركة بشكل جيد أو غير طبيعي سيكون له أثر سلبي على النمو المعرفي للطفل.

3 - اكتساب معارف عن طريق اللغة.
تلعب اللغة دوراً مهماً في مساعدة الطفل على إكتساب معارفه عن العالم. فالتواصل مع أبويه وأقاربه ومع غيرهم من البالغين و الأطفال يمكنه من إكتساب و تبادل المعارف. وتكون هذه الأخيرة القاعدة الأساس للأنشطة المدرسية، فضلاً عن كونها تسهل عملية فهم اللغة ذلك أنه لا يوجد هناك فهم حقيقي بدون معرفة للعالم.

4- التواصل التام مع العالم المحيط

يجب أن يتمكن الطفل الأصم، شأنه في ذلك شأن الطفل السامع، من التواصل كليا مع من يحيطون به (الأبوان، و الإخوة و الأخوات، وأطفال آخرون، و المدرسون، وأ أشخاص بالغون...) و يجب أن يتمكن من ذلك بمقدار تواصل أفضل وباللغة المناسبة للسياق. ففي سياقات معينة، تكون لغة الإشارة هي اللغة المناسبة وفي سياقات أخرى تكون اللغة الشفهية بأشكالها المختلفة هي الأنسب، وأحيانا يكون هناك تناوب بين اللغتين.

5- التأقلم الثقافي و الاجتماعي مع عالميه : عالم الصم و السامعين

يجب على الطفل الأصم أن يصبح تدريجيا من خلال اللغة عضوا من العالمين اللذين ينتمي إليهما. يجب أن يتمثل ولو جزئيا مع عالم السامعين، عالم أبويه وعالم عائلته في غالب الأحيان.(90% من الاطفال الصم لهم آباء سامعون) ولكن يجب عليه كذلك أن يقيم علاقة مع عالم الصم وبأسرع وقت ممكن. يجب أن يحس الطفل بالراحة داخل هذين العالمين وأن يندمج معهما مهما بلغت درجة هذا الاندماج، كما يجب بذل قصارى الجهود حتى يتم اكتشاف هذين العالمين في وقت مبكر وأن يتم الإندماج داخلهما دون مشاكل.

السبيل الوحيد لسد هذه الحاجيات هو : ثنائية اللغة

ان ثنائية اللغة – لغة الإشارة و اللغة الشفهية- هي السبيل الوحيد الذي يمكن الطفل الأصم من تواصل مبكر مع أبويه ومن تطور معرفي أفضل ، ومن إكتساب معرفة العالم، ومن إتصال لغوي مع العالمين المحيطين به وكذلك من تأقلم ثقافي واجتماعي مع عالمي الصم و السامعين.

أي نوع من ثنائية اللغة ؟

تشمل الثنائية اللغوية لغة الإشارة و اللغة الشفهية المستعملة من قبل الأغلبية السامعة (في شكلها الكتابي أو المنطوق إن أمكن). وبالتأكيد فإن هاتين اللغتين تلعبان دورا مختلفا حسب الطفل (حيث أننا نلاحظ أن بعضهم تغلب عليه لغة الإشارة وتغلب على آخرين اللغة الشفهية، في حين نجد توازنا بين اللغتين عند البعض الآخر). إضافة إلى ذلك أن ثمة أنماطا مختلفة من ثنائية اللغة، نظرا لتواجد مستويات متعددة من الصمم ولكون الوضع الذي يتم فيه التواصل اللغوي نفسه متعقدا. (أربعة أنظمة: إثنان للإنتاج وإثنان للادراك) وهذا يعني أن مصير أغلبية الصم أن يكونوا ثنائيي اللغة و الثقافة بدرجات مختلفة. فكما هو الشأن بالنسبة للأطفال السامعين ثنائيي اللغة ، فالأطفال الصم يستعينون بلغتين في حياتهم اليومية وينتمون لعالمين بدرجات مختلفة، أي عالم الصم و عالم السامعين.

ما هو دور لغة الإشارة؟

يجب أن تكون لغة الإشارة اللغة الأولى (أو إحدى اللغتين الأولتين) لذا الطفل الذي يعاني من فقدان حاد لحاسة السمع. إنها لغة طبيعية كاملة النضج ، فضلا عن كونها تحقق تواصلًا تامًا . وخلافاً للغة الشفهية، تسمح للغة الإشارة بتواصل مبكر و مثالي بين الأبوين و الطفل الصغير (شريطة أن يكتسب هؤلاء لغة الإشارة في وقت جد مبكر). إنها تلعب دورا هاما في تطور معرفي وإجتماعي سريع، تساعد في عملية إكتساب معرفة عن العالم، كما تسمح للطفل بالتأقلم الثقافي و الإجتماعي داخل عالم الصم (أحد عالميه) عندما يحدث إتصال مع ذلك العالم . وبالإضافة إلى ذلك، فإن لغة الإشارة تساعد على إكتساب سهل للغة الشفهية سواء في شكلها الكتابي أو المنطوق. بالفعل، فالتوفر على لغة مكتسبة بشكل طبيعي يساهم بشكل كبير في إكتساب لغة أخرى (سواء كانت اللغة الأولى لغة شفهية أو لغة إشارة). وأخيرا، تشكل القدرة على اكتساب لغة الإشارة ضمانا على أن الطفل سيكتسب على الأقل لغة تامة وسليمة ، لأنه من البديهي أن اللغة الشفهية لا توصل المغزى المراد مهما كانت المجهودات المبذولة والوسائل التقنية الحديثة المستعملة.

إن إنتظار سنوات عدة لبلوغ مستوى مرضي قد لا يتحقق أبدا، وحرمان الطفل الصم خلال هذه السنين من اكتساب لغة تسد حاجياته الأنية (لغة الاشارة) لمجازفة من شأنها ان تؤخر نمو الطفل اللغوي والمعرفي والاجتماعي والشخصي.

دور اللغة الشفهية؟

أن يكون الشخص ثنائي اللغة يعني معرفته وإستعماله للغتين أو أكثر. وستكون اللغة الأخرى للطفل الأصم هي اللغة الشفهية في شكلها الكتابي و/ أو المنطوق . إنها لغة العالم الآخر الذي ينتمي إليه الطفل الأصم، عالم الأشخاص السامعين، عالم أبويه وإخوانه وأخواته وأصدقائه الجدد. فإذا كان بعض أفراد محيطه لا يعرفون لغة الإشارة، يصبح التواصل امرا لا بد منه ويكون هذا التواصل ممكنا عبر اللغة الشفهية فقط. وستكون هذه اللغة، وخصوصا في شكلها المكتوب، السبيل لإكتساب عدة معارف أولا في البيت، ولاحقا في المدرسة. إن مستقبل الطفل الأصم ونجاحه المدرسي، بالإضافة إلى تفتح المهني كلها عوامل ترتبط، وبشكل كبير، بمدى نجاحه في اكتساب اللغة الشفهية على الأقل في شكلها المكتوب وإن أمكن المنطوق أيضا.

الخاتمة :

إنه من الواجب علينا أن نساعد الطفل الأصم على إكتساب لغتين، لغة الإشارة (كلغة أولى عند الطفل الذي يعاني من فقدان حاد في القدرة السمعية) واللغة الشفهية. ولتحقيق ذلك يجب أن يدخل في تواصل مع مستعملي هاتين اللغتين ويجب أن يحس بضرورة استعمالها. إن المراهنة على اللغة الشفهية وحدها باعتماد وسائل التكنولوجيا الحديثة يعني المراهنة على مستقبل الطفل. إنها المجازفة بقدر كبير فيها يخص تطوره ونموه الإنساني و المخاطرة بازدهاره الشخصي وبالتالي نفي ضرورة تأقلمه الثقافي و الاجتماعي مع العالمين الذين يعيش فيهما. ومهما كان سلوكه في المستقبل، ومهما كان العالم الذي اختاره بشكل نهائي (في

حالة اختياره لأحد العالمين)، فإن ثنائية اللغة المبكرة ستمنحه ضمانات كبيرة في المستقبل على عكس أحادية اللغة. إننا لن نندم أبدا لمعرفتنا لغات عدة ، في حين يمكننا أن نندم لعدم معرفتنا لعدد كاف من اللغات خصوصا إذا كان النمو الشخصي متوقفاً على ذلك. إن للطفل الأصم الحق في النمو بثنائية لغوية وأنه من واجبنا كذلك مساعدته على تحقيق هذا المبتغى.

ترجمة
أحمد جدير

تصحيح ومراجعة
عبدالعالي بنتهله

References

- Grosjean, F. (1982). *Life with Two Languages: An Introduction to Bilingualism*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Grosjean, F. (1987). Bilingualism. In *Gallaudet Encyclopedia of Deaf People and Deafness*. New York: McGraw-Hill.
- Grosjean, F. (1992). The bilingual and the bicultural person in the hearing and in the deaf world. *Sign Language Studies*, 77, 307-320.
- Grosjean, F. (1994). Individual bilingualism. In *The Encyclopedia of Language and Linguistics*. Oxford: Pergamon Press.
- Grosjean, F. (1994). Sign bilingualism: Issues. In *The Encyclopedia of Language and Linguistics*. Oxford: Pergamon Press.
- Grosjean, F. (1996). Living with two languages and two cultures. In I. Parasnis (Ed.), *Cultural and Language Diversity: Reflections on the Deaf Experience* (pp. 20-37). Cambridge: Cambridge University Press.